

## من ثرات الحركة الماركسية - اللينينية المخرية

مقالة

### الدكتاتورية و الديمقراطية<sup>1</sup>

#### (1) مفهوم برجوازي

إن مفاهيم الدكتاتورية و الديمقراطية تم نقلها إلنا عبر العلوم السياسية البرجوازية ، و من هذا المنطلق ، فمحتواها يتضمن تلك الحمولة التي أعطاها لها التطور الرأسمالي. هذا التطور يطرح ضرورة تحرير الفرد من إكراهات و أغلال المجتمع الإقطاعي الأوربي ، فالتاجر الذي يريد أن يوسع أعماله ، كان في حاجة إلى حرية التجارة ، و الصناعي الحديث الولادة ، كان عليه تجديد عماله بكل حرية.

لكن هذه البرجوازية الصاعدة ، إذا كانت قد أعلنت عن شهيتها بوقاحة ، فقد كانت في حاجة إلى قوة الشعب لتحطيم البنية الفيودالية ، و إن حرية التجارة أيضا ، أو حرية استغلال العمال المأجورين ، كانت مدمجة داخل مفاهيم أكثر اتساعا ، و أكثر "إنسانية" ، كما هو الحال بالنسبة للحرية الفردية ، و إلغاء الامتيازات و العبودية ، و بالتأكيد فإن البرجوازية الصغيرة ، و معها الحرفيون و الفلاحون ، و العمال الأوائل ، قد تمكنوا من النضال بكل حيوية من أجل هذه الأهداف.

هكذا تأسست دولة الديمقراطية البرجوازية. ففي هذه الدولة ، و في هذا المفهوم ، فالرجل السياسي ، الذي "وحده مع وعيه" كما يقول المثل ، يختار ، و يختار بصوته ، من المفترض أن يكون في هذا الوقت بالذات مختلفا ، عما عليه في حياته اليومية ، عامل ، فلاح ، ربة البيت ، البرجوازي ، و هكذا سيظهر أن الاقتراع العام و حق التصويت للجميع ، كانتصار على القوة المالية ، على القوة بإيجاز.

و مع ذلك ، فحق التصويت هذا ، هل يمنع العامل أن يكون خاضعا لتعسف رب المعمل ، هل حق التصويت هذا يمنع الفلاح من الاعتماد على الائتمان ؟ هل حق التصويت هذا يمنع من إلغاء اللامساواة أمام المدرسة البرجوازية ؟ مع ذلك ، فهذه هي الديمقراطية البرجوازية.

. . تنبيه : الهوامش من وضع موقع "30 غشت"

1. صدرت بمجلة "أنفاس" باللغة الفرنسية ، العدد 22 ، نونبر - دجنبر 1971.

بالفعل ، لسنا بحاجة إلى براهين طويلة حول هذه القضايا التي عاشتها الجماهير ، فكل دولة هي دائما دكتاتورية ، دولة الديمقراطية البرجوازية ، هي دولة دكتاتورية الطبقة الرأسمالية على مجموع الشعب ، عمال و فلاحين .

إنه داخل تطور الرأسمالية نفسه ، نحو التمركز الاقتصادي بين أيدي بعض الشركات الكبرى و الاحتكارات ، في تطورها نحو الشكل المعاصر للامبريالية ، تتزايد التناقضات الطبقة بين الطبقة الاجتماعية للرأسمال الكبير ، و عموم الأمة .

هذه التناقضات تصبح أكثر خطورة بالنسبة للرأسمال الكبير ، خاصة عندما تتوفر الطبقة العاملة ، مع ذلك ، في إطار الديمقراطية البرجوازية ، على حرية التجمع و التنظيم ، و إمكانيات ، و إن كانت مقيدة ، لنشر صحافة مستقلة ، عندما تنتظم هذه الطبقة تحت قيادة الأحزاب الثورية الحقيقية .

في هذه الظروف ، التي كانت هي ظروف 1920 – 1930 ، ففي كثير من الدول ، كشف الرأسمال الكبير بكل صراحة دكتاتوريته ، بالمرور نحو الدكتاتورية الفاشية<sup>2</sup> . حاليا ، ففي أهم الدول الرأسمالية ، هذه الدكتاتورية المعلنة ، لم تعد ضرورية ، بسبب انزلاق الأحزاب الشيوعية في هذه البلدان نحو الإصلاحية<sup>3</sup> . و مع ذلك ، فهي تطبق فعليا ، اتجاه المنظمات و التيارات الثورية ، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية ضد الأمريكيين السود<sup>4</sup> . و في البلدان الخاضعة للاضطهاد النيوليبرالي ، فإن الاختلافات بين الديمقراطية الشكلية و المحتوى الدكتاتوري ، تصبح كاريكاتورية . و هكذا ، مثلا ، تمضي الحكومة ، عميلة الامبريالية في

---

2. بعد انتصار ثورة أكتوبر العظيمة ، و أمام تنامي نضالات الطبقة العاملة الأوربية ، و انكشاف حقيقة الديمقراطية البرجوازية ، في سياق الخراب الذي تسببت فيه الحرب الامبريالية الأولى ، و كذلك تنامي حدة الأزمة الاقتصادية في المراكز الامبريالية خاصة مع أزمة 1929 ، تنامت الاتجاهات الفاشية و النازية في هذه البلدان ، مطالبة بسحق الطبقة العاملة والحركة الشيوعية المعبرة عن مصالحها ، و لم تكن تلك الاتجاهات سوى تعبيرا عن مصالح فصائل و فئات داخل الرأسمال الاحتكاري الامبريالي ، و هذا ما يفسر انتصارات هذه الاتجاهات الدكتاتورية في العديد من البلدان الأوربية ، و منها ألمانيا ، إيطاليا ، فرنسا ...

3. لم تكن الأحزاب الشيوعية الأوربية الغربية في تلك الفترة ، مجرد أحزاب إصلاحية ، بل كانت الاتجاهات التحريفية داخلها قد أصبحت قوية بما يكفي ، لتتخلى عن مجموعة من المبادئ و المواقف الأممية ، لصالح الوطنية البرجوازية (تسليم أسلحة المقاومة ضد النازية و الفاشية للدولة البرجوازية بعد انتهاء الحرب ، و الدعوة إلى إعادة البناء الاقتصادي تحت قيادة البرجوازية و لجم الطبقة العاملة للحيلولة دون تصعيد نضالاتها من أجل مطالبها المشروعة ، بل لم تجد غضاضة في المشاركة في الحكومات البرجوازية ، تلك الحكومات التي كانت تقوم بسفك دماء شعوب المستعمرات التواقعة إلى التحرر ، مثال ، الحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان عضوا في الحكومة الفرنسية في أحلك مراحل الاضطهاد الاستعماري لشعوب الهند الصينية و لشمال إفريقيا ...

4. المقصود هنا الحركة الثورية للأمريكيين من أصول إفريقية والتي قادها حزب "الفهود السوداء" .

"انتخابات" جنوب فيتنام<sup>5</sup>! و يصبح هذا الكاريكاتور صارخا ، عندما يحدث ، مع ذلك ورغم كل الاحتياطات ، أن تترك الديمقراطية البرجوازية ، القوى الثورية المناهضة للامبريالية تتطور ، عند ذاك ، تسرع الامبريالية العالمية ، إلى استعادة النظام بالتدخل المباشر ، و بواسطة أتباعها من الدكتاتورية الفاشية .

هذا هو الحال في اليونان و البرازيل و تركيا و أندونيسيا ، و هو الحال نفسه في غواتيمالا و جمهورية الدومينيكان ، بفضل التدخل المفتوح للقوات الأمريكية<sup>6</sup>. صحيح أن الامبريالية الأمريكية ما زالت لم تستطع التدخل مباشرة في الشيلي<sup>7</sup> ، حيث الحكومة اليسارية المنبثقة عن انتخابات تهدد مصالحها ، لكن الاستفزازات التي تواجهها هذه الحكومة ، تبين مسبقا ، أن القوى الشعبية لا يمكنها دعم انتصاراتها الأولى إذا لم تنتظم كدكتاتورية ثورية .

## (2) مفهوم بروليتاري

هذا يؤدي بنا إلى المفهوم البروليتاري ، المناقض للمفهوم البرجوازي للديموقراطية و الدكتاتورية . إن المفهوم البروليتاري لا يفصل بشكل مصطنع ، الواقع السياسي عن الواقع الاقتصادي ، فالفصل بين الكلمات ، الذي تقوم به البرجوازية ، بين الدولة و المجتمع ، هو أمر مستنكر بشكل صريح ، فبالنسبة للبروليتاريا فكل دولة هي دكتاتورية . إن التمييز يكون بين الدولة البرجوازية و الدولة الأوتوقراطية من جهة ، التي هي دكتاتورية الأقلية على الأغلبية ، و الدولة البروليتارية أو الشعبية ، من جهة أخرى ، التي هي دكتاتورية الأغلبية على الأقلية .

لكن لماذا دكتاتورية الأغلبية ؟

لأن الأقلية التي تمارس هذه الدكتاتورية ، تتوفر على قوى ، ليست في عددها وحده ، إنها تتوفر على دعم الامبريالية العالمية كلها ، إنها تتوفر على السلطة المرشحة بالمال ، و تركز على ثقل عادات الخنوع المكتسبة عبر فترة طويلة من الاضطهاد . أيضا فالجبهة الثورية للعمال و الفلاحين ، يجب عليها أن تمارس دكتاتوريتها ،

5. المقصود هنا جمهورية الفيتنام الجنوبية العميلة ، والتي كان رئيسها نغويان فان ديم ، دمية في يد الامبريالية الأمريكية .

6. في كل هذه الحالات تدخلت الامبريالية الأمريكية ، إما عن طريق عملائها داخل المؤسسات العسكرية (مثال اليونان ، البرازيل ، تركيا ، أندونيسيا ، غواتيمالا) ، للقيام بانقلابات عسكرية ، أو بالتدخل العسكري المباشر (غزو جزيرة الدومينيكان) ، و ذلك للقضاء على كل محاولة للخروج من تحت وصايتها .

7. كتب النص سنة 1971 (يعني المقالة) بينما الامبريالية لم تعز بعد ، إلى الجنرال الفاشي بينوشي ، بالقيام بانقلابه على الحكومة المنتخبة لسالفدور أليندي إلا في سنة 1973 ، بينما كانت الامبريالية الأمريكية في هذه الفترة ، تقوم بالتحريض ضد الحكومة و تعبئة الفئات الرجعية ضد نظام أليندي ، الذي كان يؤمن بالطريق السلمي نحو الاشتراكية عبر صناديق الاقتراع ، الشيء الذي أثبتت التجربة مرة أخرى إفلاسه .

لاقتلاع القبضة الامبريالية ، لإخماد عوامل خطر وكلائها الداخليين ، لتغيير بنية المجتمع نفسها ، لخلق مجتمع جديد ، مجتمع اشتراكي .

هذه الدكتاتورية هي دكتاتورية البروليتاريا. إن دكتاتورية البروليتاريا تذهب نحو اضمحلال الدولة باعتبارها كذلك ، نحو مجتمع ، حيث كل أشكال الاضطهاد ، أو كل ثقافة الاضطهاد ، أو كل أشكال استيلا ب الإنسان ، تكون قد اختفت و سيتمكن الناس من التفتح ، و تنظيم أنشطتهم الاجتماعية بدون دولة. هذه السيرورة التي يتغير الإنسان نفسه داخلها ، هي سيرورة تاريخية طويلة ، التي لا يمكن في الحقيقة أن تتوطد إلا بعد تصفية الامبريالية و الرأسمالية على الصعيد العالمي. لكن دكتاتورية البروليتاريا هي أصلا مشمولة في هذه السيرورة ، و ليس لها معنى ، إلا أن تكون كذلك. هذا يعني أن السلطة الحقيقية ، يجب أن تكون سلطة العمال و الفلاحين المنظمين في لجان ثورية ، و لن تكون في سلطة بيروقراطية.

و هكذا فإن الإصلاح الزراعي كان هو نفسه ، عمل هذه اللجان الثورية الفلاحية ، كما كان الحال في الصين أو في السنوات الأولى من الثورة السوفياتية. كذلك ، فإن الاختيارات الاستراتيجية للتخطيط ، و كذلك توجه المجتمع ، يجب أن ينبثق من هذه اللجان العمالية و الفلاحية الموحدة جدليا مع ، و بالحزب البروليتاري.

لقد جاءت الثورة الثقافية الصينية ، لتبين للعالم ، حقيقة سلطة مثل هذه ، فبهذا المعنى ، و أمام أسي البيروقراطيين و التكنوقراطيين الكبير ، هناك اضمحلال للدولة ، بنفس المعنى الذي عبر عنه انجلز فيما يخص كومونة باريس ، التي قال عنها أنها لم تعد دولة بالمعنى الضيق للكلمة.

لكن ، إذا كانت هناك علاقة بين دكتاتورية البروليتاريا و اضمحلال الدولة ، فهذه العلاقة ليست تلقائية ، من جانب واحد ، بل جدلية. إن ضمان التقدم نحو اضمحلال الدولة ، هو تعزيز دكتاتورية البروليتاريا ، ضد أولئك الذين يريدون الرجوع إلى الوراء نحو الرأسمالية. إن انحطاط المجتمع اليوغوسلافي ، يبين إلى أين يؤدي ذلك. إن كلمة السر "المصنع للعمال"<sup>8</sup> ، تسمح بالفعل للبيروقراطيين البرجوازيين الصغار ، بالحفاظ على سلطة الدولة تحت مراقبتهم! كان هذا بالفعل هنا ، طموح عبد الله إبراهيم<sup>9</sup>.

8. "المصنع للعمال" هو أحد الشعارات التي رفعت من طرف التحريفية التيتاوية (نسبة للمارشال جوزيف بروز تيتو)، في إطار ما سمي بتجربة "التسيير الذاتي الاشتراكي" ، التي حافظت على منطق الربح داخل المؤسسات الصناعية ، بل فتحت الأبواب للاستثمارات الامبريالية و خاصة الأمريكية ، و كانت نموذجا معاديا لديكتاتورية البروليتاريا ، و قد فضحت الحركة الشيوعية العالمية هذا المنحى التحريفي ، بينما كانت الحركة التروتسكية العاملة تطبل و ترمز لها تسميه بتجربة "التسيير الذاتي الاشتراكي" بيوغوسلافيا.

9. عبد الله إبراهيم هو أحد مؤسسي حزب "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية" الذي انشق عن حزب الاستقلال سنة 1959 ، و كان رئيسا لحكومة 1959 التي سميت بالتقدمية.

إذا كان على طبقة الفلاحين ، بما فيها الفلاحون الفقراء ، أن تمر عبر مرحلة إنجازها الاقتصادي ، كطبقة فلاحية مالكة للأرض ، لتدخل تحت قيادة البروليتاريا إلى المرحلة الاشتراكية ، فالبروليتاريا لا يمكن أن تنظم من أجل الثورة نفسها ، إلا بتجاوز مصالحها الطبقيّة المباشرة.

"إذا كانت عاجزة عن تحرير الإنسانية كلها ، فإن البروليتاريا لن تتمكن من الوصول إلى تحررها النهائي" كما قال **ماو تسي تونغ**. إن هذا التجاوز كطبقة ، هو ما يسمح لها بضمان قيادة القوى الثورية.

هذا هو السبب ، كما يبينه جيدا ، الرئيس الحالي للجمهورية الديمقراطية الفيتنامية **تريونغ شينه** ، الطريق نحو الاشتراكية في بلد ذو بنية فلاحية مهيمنة ، تمر عبر الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال و الفلاحين الفقراء ، هي نفسها مقولة تنتمي إلى مفهوم دكتاتورية البروليتاريا ، لأن البروليتاريا ، بتنظيمها الطبقي و إيديولوجيتها الطبقيّة ، تضطلع بالقيادة الإيديولوجية و الاستراتيجية للجبهة الثورية للعمال و الفلاحين الفقراء ، النواة الديناميكية لمجموع القوى الوطنية. هذه الدكتاتورية ، هي ديموقراطية بالمعنى الذي لا يفصل بين السياسي و الاقتصادي ، و البنية السوسيواقتصادية للمجتمع تبقى كثيرا ، بنية اقتصادية برجوازية.

إن البرجوازية الصغيرة و المتوسطة ، التي لها مكانها في مجتمع مثل هذا ، لن تعرف ممارسة هذه الدكتاتورية ، لأنه إذا تركت لحالها ، فإنها ستوجه أنظارها على العكس ، إلى بناء الرأسمالية ، الشيء الذي لا يمكن أن تفعله إلا بدعم من الامبريالية. و إن التطور الحالي للجمهورية العربية المتحدة<sup>10</sup> في هذا الاتجاه له دلالة قوية.

10. الجمهورية العربية المتحدة ، هو اسم مصر منذ مشروع الوحدة الفاشلة مع سوريا ، وأصبحت مصر فيما بعد تسمى "جمهورية مصر العربية" منذ انقلاب السادات سنة 1971 ، ودخول مصر مرحلة التبعية المكشوفة للامبريالية الأمريكية وتوقيع معاهدة كمب ديفيد الخيانية.